

دلالة المنصوق في سورة التكاثر البنية الصوتية أنموذجاً

Signification of enunciation in the Surat Itakathor Phonological structure as a model

تاريخ القبول: 2019-09-24

تاريخ الإرسال: 2018-10-28

سجدة طبطوب، جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2

Tabtoub.sadjia@yahoo.fr

الملخص

يسعى البحث إلى النظر في البنيات اللغوية الصوتية للخطاب القرآني من حيث اقتضاؤها لمعان مضمر يُخفيها المنطوق الصوتي، ثم إجلال دلالاتها الاقتضائية التي تُساق وفق معطيات مقامية تواصلية محدّدة، واستراتيجية حوارية خاصة، وذلك من خلال إلباس المدلولات المضمونية الاقتضائية ما يُناسبها من الدوال الصوتية.

وقد اختار البحث الخطاب المكيّ، وتحديداً — (سورة التكاثر) — بعدّها عيّنة كاشفة للاقتضاءات الصوتية، لما يكتنفها من بناء صوتي فريد تليّن به القلوب الضّالة، وتخشع له النفوس الحائرة، فجاءت الأصوات قوية شديدة تقرر الأسماع، مُحَاكِة للمعاني المعبرة عن مرحلة بداية الدّعوة المحمّدية.

الكلمات المفتاحية: دلالة المنطوق، البنية الصوتية، الاقتضاء، الخطاب المكيّ، سورة التكاثر.

Résumé

Cette recherche tente d'examiner les structures phonologiques du verbe coranique dont le discours renferme un sens implicite dissimulé phonétiquement. La mise en évidence de sa signification préposée - véhiculée selon des données communicatives, une stratégie conversationnelle et une prosodie spécifiques - découle de la mise en adéquation des contenus sémantiques et de la matière phonétique.

Cette recherche a choisi le discours Mequois, précisément Sourat El-Takathor comme un échantillon découvrant les présupposés phonétiques qui distinguent par une structure prosodico-phonétique, qui psalmodiée, est fort influente. En ce sens, ces voix intenses, fortes et envoutantes sont venues sensibiliser fortement l'écoute en annonçant les l'expression d'un début du message du prophète Mohamed.

Mots-clés : Signification d'énoncé, Structure phonologique, Présupposition, Discours mekki, Sourat el-takathor.

Abstract

This paper seeks to examine the phonological and linguistic structures of the Qur'anic discourse in terms of the implicit meanings concealed phonetically, then to demonstrate its implicative designations which are delivered on a specific communicative situational data and special conversational strategy through combining the necessary substantive connotations with the appropriate phonetic functions. The research focuses on the Makki discourse and specifically "Surat Itakathor" as a revealing sample of the Phonological presuppositions, for its unique sound structure that softens the stray hearts and influences the confused souls with its strong and intense voices that sensitize the listening and announce the beginning of the Mohammadian message.

Keywords: Signification of enunciation, Phonological structure, Presupposition, Makki discourse, Surat ttakathor.

تمهيد

- وهل تعدّ البنية الصوتية لدلالة المنطوق مظهراً من مظاهر الإعجاز اللغوي؟ وما علاقتها بالسياق الذي ترد فيه؟

1- مفهوم الاقتضاء

لا يزال مصطلح الاقتضاء يكتنفه الغموض نتيجة الاستخدام الواسع له في مجالات مختلفة من التراث العربي، من نحو وبلاغة وتفسير وفلسفة ومنطق، فلا يزال مفهومها قلقاً رجراجاً - على حدّ قول عبد الله صولة -، إذ يمثل موضوع اختلاف حتى بين كبار المناطق العربية المعاصرين²، ورغم الاختلاف الحاصل، «فلولا الاقتضاء بين الوحدات اللغوية لأصاب الكلام الضعف والغموض والإبهام وعدم القدرة على فهمه»³، والوصول إلى المعاني المضرة التي يقصدها باث الخطاب، ولكن حديثه مجرد فوضى لغوية.

والاقتضاء لغة: مصدر للفعل الخماسي اقتضى والثلاثي من قَضَى قَضِياً وقَضَاءً، بمعنى حَكَمَ وفَصَلَ وأَمَرَ وأَتَمَّ وَبَيَّنَّ.

ويرد في اللغة بمعنى الطلب والاستلزام والاستدعاء من الفعل اقتضى، ويُقال: اقتضى الدين أي طلبه، أو يُقال: اقتضى أمراً بمعنى استلزمه واستدعاه⁴. والاقتضاء عند الرّاعب الأصفهاني (ت 402هـ): المطالبة بقضاء الأمر أو الدين، ومنه قولهم: هذا يقضي كذا⁵، وقد يأتي «بمعنى الطلب أو الاستيجاب أو الدلالة، والمقتضى هو الطالب للشيء»⁶؛ أي هو ما يصاحب الشيء ويطلبه⁷ والمقتضى هو المطلوب، وبالتالي فكلّ المفردات اللغوية يقتضي بعضها بعضاً كاقضاء الطالب للمطلوب.

وبناءً عليه، فإنّ الاقتضاء لغة يرد بمعنى الطلب والحاجة والاستدعاء.

أما الاقتضاء اصطلاحاً، فيُحيل على صنف من المعاني غير الصريحة التي تُضمّرها بالقوة أو بالفعل بنيات لغوية مُحَيَّنة (actualisées/actualises)، مفردات كانت أم مركّبات، جملاً أم تعابير، فتلتصق بالخطاب اللغوي في ثابته (الدلالة) ومتحوّله (التداول)⁸.

فالاقضاء في أساسه طلب تقدير، أو إضافة معاني ضمنية لتحقيق مقصدية الكلام، وقد شاع استعماله عند علماء أصول الفقه، وارتبط في مباحثهم بمفهوم دلالة الاقتضاء، وهي «دلالة اللفظ على معنى لازم متقدّم مقصود

يُعدّ البحث في الصوت القرآني مبحثاً أصيلاً وحقلًا معرفيًا خصباً وثرياً في الثقافة العربية الإسلامية، لا سيما إذا تعلّق الأمر بالبحث في دلالات الاقتضاء بعدها مداخل مهمّة لفهم أحكام الله -جلّ وعلا-، وذلك لكون القرآن الكريم خطاباً كونياً قائماً على أفعال لغوية، وأصوات تنطوي على دلالات مضرة يسعى هذا البحث إلى الكشف عنها من خلال مبحث: «دلالات المنطوق غير الصريح»، الذي يجلي جانباً مهمّاً من جوانب الإعجاز اللغوي، والمتمثّل في ثراء دلالات المنطوق الصوتية الواردة في موقف تواصلٍ معيّن، وتحديدًا موقف الخطاب المكّي في (سورة التكاثر).

ومستويات الدّراسة اللّغويّة لأيّ خطاب لتشمل المستوى الصوتي، والنحوي، والصرفي، والمعجمي، والدلالي والتداولي، وأبرز هذه المستويات وأولها دراسة هو المستوى الصوتي؛ لأنّ رصد الظاهرة اللغوية صوتياً يعني العناية باللغة ذاتها؛ ولأنّ الأصوات بانضمام بعضها إلى بعض تشكّل مفردات تلك اللغة.

لهذا السبب اعتمد البحث على المستوى الصوتي لدراسة الدلالات الإيحائية للصوت القرآني ومعرفة اقتضائه في (سورة التكاثر)؛ ذلك أنّ قارئ القرآن الكريم تسترعي انتباهه خاصية تأليفه الصوتي في الشكل (المنطوق الصريح)، والجوهر (دلالة المنطوق غير الصريح)¹.

وبما أنّ الصوت هو العنصر الخام والأساس في رسم ملامح الخطاب القرآني؛ فإنّ القيمة الجمالية والإعجازية، والآداءات البلاغية لذلك الخطاب لا تتأثّر من ناحية الدلالة والتركيب فحسب، وإنّما يؤدّي الصوت وظيفته البلاغية في تحقيق جانب مهمّ من جوانب دلالات المنطوق غير الصريح، ألا وهي دلالة الاقتضاء؛ لأنّ الأصوات في تناسقها وتآلفها، فتؤدّي مهمّة كبيرة في تناسق الخطاب القرآني في (سورة التكاثر) وتآلفه.

- فما المقصود بالاقتضاء؟ وما علاقته بدلالة المنطوق غير الصريح؟

- وما المولّدات الدلالية (المقتضيات) للصوت القرآني؟ وما دلالات مقتضياته التواصلية؟

تقتضيه من معانٍ فرعية بطريق اللزوم، بل لا بدّ من النظر والتدقيق في مقامات الأحوال الدالة على الظروف والسيّاقات المختلفة التي رافقت نزول الشّرع¹³، وهي ما أطلق عليها الإمام الشّاطبي (ت 590هـ) اسم: الأمور الخارجيّة، وحدّدها في أمرين: أسباب النّزول والعادات العربيّة المقارنة لنزول الشّرع¹⁴، ولهذا قسّم الاقتضاء باعتبار مفهومه إلى قسمين (دلاليّ وتداولي).

2- اختلاف مفهوم الاقتضاء بين الدّالة

والتداول:

مرّ مفهوم الاقتضاء بمرحلتين هامتين، مرحلة الدّالة الصّوريّة، ومرحلة التّداوليّة، تمخض عنهما مفهومان للاقتضاء، هما:

أ- المفهوم الدّلاليّ المنطقيّ والصّوريّ للاقتضاء:

يعرّف الاقتضاء منطقيّاً بأنّه علاقة بين قول الخاتمة وقول سابق أو أقوال سابقة تعدّ حقّاً المقدمات¹⁵.

أما دلاليّاً، فيعدّ جزءاً من اللّغة، منغرساً فيها، متولّداً عنها، وطريقة إثبات الاقتضاء دلاليّاً وطريقة احتسابه يكون فيهما التّحقّق والإبطال من صنع اللّغة نفسها¹⁶.

الملاحظ أنّ التّصوّر المنطقيّ الدّلاليّ نظر إلى الاقتضاء على أنّه علاقة بين القضايا، وجعل منه شرطاً مسبقاً لصدق القضية أو كذبها، إلّا أنّه تصوّر قاصر؛ لكونه أقصى من اهتماماته الطّروف الخارجيّة الحافّة بالقول.

ب- المفهوم التّداوليّ للاقتضاء: يكون اشتغال

الاقتضاء تداوليّاً على عكس اشتغاله دلاليّاً؛ ذلك أنّ الاقتضاء التّداوليّ مُرتبّته بفرضيات المتكلّم الخلفيّة ومعتقداته، وبالتالي ينقل هذا الضّرب من الاقتضاء الدّلالة الاقتضائيّة من حيّز اللّغة إلى حيّز السّيّاق¹⁷.

وعموماً، تطوّر مفهوم الاقتضاء وفق مستويات ثلاثة:

«مستوى دلاليّ، ويُعالج فيه الاقتضاء كمعلومة تأخذ من الملفوظ؛ أي كعنصر من عناصره الدّلاليّة، ومستوى وظيفيّ يحدّد فيه دور الاقتضاء في تنظيم الخطاب، فإذا كانت للاقتضاء وظيفة فإنّها لتحقيق ملاءمة الخطاب، ثمّ مستوى تداوليّ ويتعلّق الأمر فيه بتحديد الاقتضاءات في العلاقات بين المتخاطبين، وكذا في التّفاعلات التي يبنّي عليها التّخاطب».

18

للمتكلّم، يتوقّف عليه صدق معناه، أو صحته عقلاً أو شرعاً⁹، والمراد بالآزم المقصود، اللفظ المقدّر من طرف السّامع، والذي يقتضيه المعنى صدقاً أو عقلاً، أو شرعاً لتتوقّف عليه صحّة خطاب المتكلّم حتّى يصل مقصوده إلى السّامع، توخيّاً لفهم والإفهام.

«وتعدّ دلالة الاقتضاء عند الأصوليّين قسماً من أقسام المنطوق غير الصّريح، الذي يُعرف على أنّه دلالة اللفظ على ما وُضع له بحسب اللّغة بطريق الالتزام؛ بمعنى أنّ المنطوق غير الصّريح هو المعنى أو الحكم الذي دلّ عليه اللفظ عن طريق دلالة الالتزام، وسُمّي بغير الصّريح؛ لأنّ دلالة اللفظ على المعنى غير مباشرة؛ وإنّما تتمّ من خلال التأمّل في اللفظ وإدراك معانيه، ومن ثمّ الانتقال إلى لوازمه»¹⁰ بمعنى آخر، أنّ دلالة اللفظ على المعنى غير مباشرة، تُستفاد من التعريض والتلويح، لا من النّطق والتّصريح، لكن كيف تكون دلالة الاقتضاء من ضرورة اللفظ؟

يوضّح ذلك أبو حامد الغزالي بقوله: «أما من حيث لا يمكن كون المتكلّم صادقاً إلّا به، أو من حيث يمتنع وجود الملفوظ شرعاً إلّا به أو من حيث يمتنع ثبوته عقلاً إلّا به»¹¹. يُفهم من هذا القول أنّ دلالة الاقتضاء هي دلالة الكلام على معنى يتوقّف تقديره صدق الكلام أو صحته عقلاً أو شرعاً.

والمقتضى عند عامة الأصوليّين ثلاثة أقسام¹²:

أ- ما قدّر حذفه للمحافظة على صدق المتكلّم.

ب- ما قدّر حذفه للمحافظة على الصّحة العقليّة للكلام.

ج- ما قدّر حذفه للمحافظة على الصحة الشرعيّة للكلام.

والسّؤال الجوهريّ الذي يفرض نفسه في هذا المقام:

هل الإيحاءات الصّوتيّة المقتضيّة لدلالة المنطوق في (سورة التّكاثر) تخضع لديناميّة الحوارات بين المتخاطبين، وملابسات سّيّاق ورودها؟

لها كانت دلالة الاقتضاء عند الأصوليّين تتوقّف على تقدير مقصود المتكلّم صدق الكلام أو صحته عقلاً أو شرعاً؛ فإنّه من الخطأ والتّقصير الذي يُسيء إلى الخطاب القرآنيّ ومنزله -جلّ وعلا- أن يُكتفى في فهم واستنباط الأحكام الشرعيّة على مجرد اعتصار الألفاظ القرآنيّة، والاقتصار على مدلولاتها اللّغويّة، انطلاقاً من بنياتها الحرفيّة المجردة، وما

الذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التأليف ولن تكون حركات اللسان لفظاً ولا كلاماً موزوناً ولا منشوراً إلا بظهور الصوت»²⁵. ولا يزال الصوت القرآني مطلب علماء التجويد واللغويين المحدثين؛ لما له من صدارة في الدراسات اللغوية ولكونه أصل اللغات، «وقد نُبه بتأكيد بالغ على مهمة الصوت اللغوي في إثارة الإحساس الوجداني عند العرب، وإيقاظ الضمائر الإنسانية للتوجه نحوه لدى استعماله الحروف الهجائية المتقطعة في جمهرة من فواتح السور القرآنية، وفي أسرار فواصل الآيات وفي قيم الأداء القرآني وفي الدلالة الصوتية للألفاظ في القرآن»²⁶، ولعل اقتضاءات البنية الصوتية في الخطاب القرآني لها من الأهمية في الكشف عن ذلك التفاعل والتّحاور بين المتخاطبين.

4- اقتضاءات البنية الصوتية لدلالة المنطوق في

(سورة التكاثر)

تأسيساً على ما سبق ذكره حول تطوّر مفهوم الاقتضاء، يصل البحث إلى أن الاقتضاء اللغوي مصطلح وظيفي تداولي موزّع بين علوم اللغة العربية، ومبثوث ضمن مباحثها، وهذا دليل واضح على أهميته ضمن العملية التّواصلية. والصوت واحد من هذه الاقتضاءات الهامة، والمؤسسة لكلّ الاقتضاءات الأخرى (تصريفية وتركيبية ودلالية وتداولية)، يسعى إلى إظهار فهم السامع، وكشف مقاصد المتخاطبين من خلال مباحثه الفرعية وظواهره اللغوية من وقف ومدّ وتنغيم وفاصلة، وذلك باعتبار أن الصوت يشكّل أطر البنية اللغوية الرئيسة لكلّ لغة طبيعية، وأنّه حيز الزاوية الأساس والعامل الرئيس المفضي إلى تشكيل اللغة التي تُوصف بأنّها مجموعة من الأصوات يقتضي بعضها بعضاً.

وتخضع المقتضيات الصوتية لعوامل سياقية، وأخرى لغوية، منها على سبيل الذكر العلة الفاعلية أو العامل المقتضي؛ إذ يكون للأصوات أثر فعال في تشكيل الأبنية عن طريق اقتضاءها للتغييرات الصوتية على نحو المجانسة والمخالفة والمماثلة الصوتية²⁷، وذلك حسب اقتضاء العبارات القرآنية وسياقاتها الإبداعية المشكّلة للخطاب القرآني المكّي، وبما أن البحث يتناول الصوت في الخطاب القرآني بعدّه أصغر وحدة في المنطوق، فإنّ هذه الوحدة الصوتية الأصغر يمكنها أن تمثّل مادّة بحثية لها قيمتها الدلالية.

يتّضح من هذا القول -بالنسبة لظاهرة الاقتضاء-، أن اعتماد التحليل على الجانب الدلالي وحده غير كافٍ، بل لا بدّ من رصد إواليات تداولية في الظاهرة في شقّها الثاني (التداولي)، ذلك أنّ التفاعل القائم بين المكونات الثلاثة: التركيب والدلالة والتداول في أيّ وصف يرمي إلى الإحاطة بمقومات الظاهرة اللغوية كلّها¹⁹.

لذا تحاول الدراسة التطبيقية في هذا البحث المزوجة بين البعدين الدلالي والتداولي للمقتضيات الصوتية لدلالة المنطوق في (سورة التكاثر) لمعرفة وظائفها التّواصلية، وآدائها الإبداعية.

3- الصوت اللغوي في الخطاب القرآني

لقد استطاع الصوت القرآني خلق جوّ من التفاعل لدى مستمعيه، وذلك من خلال نغماته المتباينة ودرجاته المتفاوتة بين الشدّة واللين، وبين القوّة والضعف، والتي تظهر تبعاً لاختلاف مخارج هذه الأصوات وصفاتها من حيث الوضوح والشدّة والسرعة والاستعلاء، وغير ذلك من الصفات والخصائص التي يميّز بها الصوت، و تتمايز بواسطتها الأصوات اللغوية، ويتعلّق بها نوع من المعاني تسمّى المعاني الطّبيعية التي لا توصف آثارها بأنها عرفية ولا ذهنية²⁰؛ لأنها في الواقع - كما يقول تّهام حستان - مؤشرات سمعية انطباعية ذات وقع على الوجدان - تدركها المعرفة ولا تحيط بها الصّفة - فمثل تأثيرها في وجدان السامع مثل النّغمة الموسيقية تطرب لها ثمّ لا تستطيع أن تقول لم طربت²¹.

ولعلّ العنصر الذي يبهّر المستمع لهذا القرآن المعجز، ويستحوذ على كيانه هو ذلك النظام الصوتي البديع الذي هو أول ما تحسّه الأذن²²، والذي قسّمت فيه الحركة والسكون تقسيماً منوّعاً يجدد نشاط السامع لسماعه، ووزعت في تضاعيفه حروف المدّ والغنة توزيعاً عادلاً، يساعد على ترجيع الصوت به وتهادي النفس فيه آنأ بعد آن²³.

هذا النظام الصوتي الفريد المعجز في تلاوّمه وحسن تناغمه هو ما سمّاه سيّد قطب بالموسيقى الدّاخلية؛ إذ يقول: «إن هناك نوعاً من الموسيقى الدّاخلية يلحظ ولا يشرح، وهو كامن في نسيج اللفظة المفردة، وتركيب الجملة الواحدة، وهو يدرك بحاسة خفية وهبة لدنية»²⁴، فالمزج للخطاب القرآني الكريم غير متعلّق به جملة، ولا تركيباً فحسب، بل المزج الكامنة فيه انطلاقاً من أصغر وحدة صوتية في بناء تعبيره، والصوت عند الجاحظ (ت255هـ) «هو آلة اللفظ وهو الجوهر

واحدة ، والصفات واحدة ، لكان الكلام بمنزلة أصوات البهائم التي لها مخرج واحد ، وصفة واحدة لا تُفهم»³³.

فالمقتضيات الصوتية تُعنى بالبنية الصوتية للمفردة القرآنية ، وما تقتضيها هذه البنية من عناصر الاتساق والانسجام بين الفونيمات ، أو التباعد بين مخارجها ، ذلك أن التشكيل الصوتي خاصة في الخطاب القرآني بما يتضمنه من مزايا فريدة يفرضها الاستعمال والقصد الدلالي يتعدى إطاره الخاص الذي وُضع له في اللغة ويصبح ذا أثر فاعل في جلاء القصد ، وإيضاح الغاية ، إضافة إلى ميزته الجمالية ، والتي تُضفي على التعبير أنغاما موسيقية تتداخل وتتواشج في بنية الخطاب اللغوية³⁴.

ويروم هذا العنصر دراسة الفونيمات التركيبية لـ (سورة التكاثر) لكونها عنصراً أساسياً من المفردة القرآنية ، وبوصفها عناصر لغوية مقتضية للتركيب الصوتي³⁵ ، والمتمثلة في الأصوات الصامتة والأصوات الصائتة.

* اقتضاء الأصوات الصامتة (الصوامت): تشكل الصوامت في المفردة القرآنية الركن الرئيس ، وهي قابلة للتغيرات الصوتية انطلاقاً من رتبتها في الكلمة ومجاورتها لبقية الصوامت والصوائت واقتضاءها لها ، وكذا الموقف التواصلي الذي صيغت فيه ولأجله ، وفي (سورة التكاثر) اقتضت الضرورة الصوتية والسياقية أن تستهل بصوت صامت (الهمزة) يكاد يلقي بظلاله على مجمل العبارة الشريفة: **أَلْهَنَكُمْ أَلْتَكَاثُرُ** ١ من الناحية الصوتية ، «وصوت الهمزة في أول اللفظة يضاهي نتوءاً في الطبيعة. وهو يأخذ في هذا الموقع صورة البروز كمن يقف فوق مكان مرتفع ، فيلفت الانتباه كهاء التنبيه»³⁶ ، والهمزة صوت حنجري وانفجاري قوي ، يهيئ الجهاز النطقي للقراءة ، والدّهن للتفكير والتدبر ، كما يهيئ السامع بفجاءته الخاطفة ، ووضوحه السمعي العالي لسماع السورة وتدبر معانيها³⁷.

ولوقوع هذا الصامت ، بانفجاره القوي المفاجئ اللّات في بداية السورة أن يوحى بعظم ما بعده من أمر جلل ، لا بدّ من التنبيه عليه ، ويدعمه في ذلك هذان الصوتان اللذان يقعان معه في المقطع الصوتي ذاته الفتحة القصيرة ، واللام في آ (أَلْ)، فهما من أوضح الأصوات اللغوية وقعا على السمع ، كما أن هذا المقطع الصوتي من النوع المتوسط ، الذي لا يمتدّ معه النَّفس ، ومن شأن هذا أن يدعم فجاءة

فكلّ صوت في هذا الكتاب الحكيم وضع موضعه الذي لا يصلح غيره ليحلّ محله ، فإذا وقف على سرّه انكشف بعض ممّا فيه ، وخفي ما هو أعظم²⁸ ، فإذا رجعت —مثلاً— إلى (سورة التكاثر) ألفت الهمزة في قوله تعالى **أَلْهَاكُم** قد وردت في سياق بليغ يوحى بالشدة ، ولفت انتباه الإنسان الغافل اللاهث خلف متاع الدّنيا ، هذا الانتباه الذي كان باعثاً على التأمل والتدبر.

هذه البلاغة الصوتية القاهرة كانت سبباً في اختيار المتن الشريف (سورة التكاثر) —رغم قصره— مادة تطبيقية للبحث لإظهار ما انمازت به هذه السورة من بناء صوتي متلائم²⁹ ، بمخاطبتها عقول المخمورين السادرين ، الذين أشرفوا على الهاوية ، المتكاثرين بالأموال والأولاد ، الذين لا بدّ من مخاطبتهم بلغة تنماز بالجمال الصوتي ، والتناسق الفني ، والإيقاع الموسيقي³⁰ ، غير ما ألفتة العرب في أشعارها ، وسمعته في خطبها وأخبارها.

وما يرومه هذا البحث هو إبراز الوشيجة بين الصوت الظاهر ومعانيه الخفية المقتضاة ، تلك الوشيجة التي راعت انتباه القدماء والمحدثين ، والتي ما تزال بحاجة إلى مزيد من الكشف والبسط.

5- المولدات والمقتضيات الصوتية في (سورة

التكاثر)

سيحاول هذا العنصر التعرّض بشيء من الحيطة والحذر لطبيعة العلاقة بين صفات الصوت اللغوي في نماذج من آيات في (سورة التكاثر) والمعنى الخفي المقتضى الذي يطلبه السياق التواصلي ، هذا المقتضى الصوتي الذي يحدده وينهض به إمّا صوت مفرد ، وإمّا صوت مركّب في لفظ واحد أو أكثر ، إن على مستوى الكلمة المفردة ، أو على مستوى الجملة والعبارة والآية ، أو حتّى على مستوى السورة بأكملها.

أ- اقتضاء الأصوات المفردة غير المرغبة: تعدّ

الأصوات مادة الألفاظ ، والعمدة في تكوين الأداء ، وإعطائه رنيناً إضافياً يزيد من وضوح التعبير وصدقه على حمل فكرة المتكلم ، أو التأثير بها في ذهن السامع³¹ ؛ ذلك أن حدّ اللغة أصوات يعبر بها كلّ قوم عن أغراضهم³². ولاختلاف الصوت في الخطاب القرآني قيمة وظيفية تداولية ، هي التمييز بين المنطوقات توخياً لفهم والإفهام ، يقول مكّي بن أبي طالب القيسي (ت 437هـ): «ولو كانت مخارج الحروف

الشَّريفة الثَّانية فاصلة حرف (الرَّاء)، وليس هذا مراعاة للفاصلة في الآية الكريمة الأولى طلباً للتَّغْم الموسيقيّ فقط، بل أن لفظة (الْمَقَابِر) تفرض نفسها فرضاً بيانياً قاطعاً، دون حاجة إلى التَّنظر في الفاصلة معها، ف (الرَّاء) في لفظة (الْمَقَابِر) هي المقتضي والمقتضى هو مقام الإنسان المتناسي دينه وآخرته، اللّاهي والمتكاثر والمتفاخر بأمواله وشهوته، ونسائه وأولاده، وبنائه وقصوره، وخدمه وحشمه، وشؤونه وسلطانه، وهذا كلّ تكاثر يصحبه التَّفاخر والتَّنازع ومن ثمَّ التَّنافر⁴⁵. والمقابر جمع مقبرة بفتح الموحدة وضمّها، والمقبرة الأرض التي فيها قبور كثيرة، ويحتمل أن تكون الغاية للمتكاثر الدالّ عليه لفظ التكاثر؛ أي التكاثر بكلّ شيء حتّى بالقبور تعدّونها؛ بمعنى آخر "زرت المقابر لتعدّوا القبور"⁴⁶، وبالتالي كان المعنى المحذوف والمطلوب تضاعف الرّعب والرّهب في قلب الكفّار الذي دلّت عليه القرينة اللّغويّة (الْمَقَابِر)، والتي تُعدّ مولداً سياقياً لهذا المعنى المضمر.

ولمّا كان المقام مقام توبيخ موجّه للمشرّكين انتقل الخطاب إلى نسق آخر في فاصلة قرآنيّة تقف عند حرف (النون) في قوله عزّ وجلّ: "كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ" ^٥ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ^٦ [التكاثر: ٣-٤] اقتضى سياق الرّجر إبطالا لإنهاء التكاثر⁴⁷. ثمّ انتقل الخطاب مرّة أخرى إلى تشكيل صوتي آخر في فاصلة قرآنيّة يحددها الصّامت (الميم) تظهر من خلال هاتين الآيتين الكريميتين: "لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ" ^٥ [التكاثر: ٦] ثُمَّ لَتَسْلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ^٥ [التكاثر: ٨]، فلا شكّ في أن هذا الصّامت يُعدّ بؤرة اهتمام في كلتا الآيتين الشريفتين، وما يحمله من دلالة صوتية تقتضي دلالتين مختلفتين باختلاف اللفظة اللّغوية المولدة لكلّ منهما، فهو في الأولى يوحي بعظم الجحيم، وزيادة في الإنذار والتنبية تقشعر له الأبدان. وفي الثانية يوحي برهبة السّؤال الأخير ورعشته، سؤال الميزان الذي يحدّد مصير ابن آدم؛ فإمّا إلى النّعيم، وإمّا إلى الجحيم⁴⁸، — والعياذ بالله جلّ وعلا.

وبعدّ هذان الصّامتان (النون والميم) أكثر الأصوات تردداً في الفاصلة المكيّة لما لهما من موسيقى عالية وغنّة⁴⁹ ظاهرة، إلّا أنّها في صوت النون أشدّ منها في صوت الميم⁵⁰، لذا اقتضى سياق الإنذار والتّهديد تأهيل صوت النّون لما يحمله من رنين ودلالة توحى بالشّجن المؤثّر في النّفس اللّاهية وراء التكاثر والتّفاخر والتّنازع.

الصّامت (الهزّة)، وما تقتضيه هذه المفاجأة من إحياء ووقع على سمع مخاطبيها.

ومن الصّوامت التي اقتضى السياق ورودها، وحقّقت انسجاماً في (سورة التكاثر) صوت (التاء) المكرّرة خمس مرّات في هاتين الآيتين الشريفتين: "أَلْهَكُمُ التَّكَاثُرُ" ^٥ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ^٥ [التكاثر: ١-٢]، والتاء -كما هو معروف- صوت انفجاريّ مهموس يوحي في هذا المقام بما يجده اللّاهي في لهوه من توتّر وضلال، فما بالك أيّها السّامع، أو أيّها السّامع اللّاهي بما توحىه التّاءات المدغمة في الكلمتين الشريفتين (التكاثر) ^٥ و(حتّى) من شدّة هذا الضلال والضياع والتخبط، وهذا ما يؤكّد اقتضاء التّاء لدلالة الاضطراب³⁸.

*-اقتضاء ضرب الفاصلة القرآنيّة: الخطاب القرآنيّ كلام الله فحسب، ليس من جنس التثر في صنوفه وإن اشتمل على ذروة مميّزاته، ولم يكن ضرباً من الشّعْر وإن ضمّ بين دفتيه أوزان الشّعْر جميعها³⁹؛ لكنّه جمع بين خاصيتي التثر والشّعْر معا في مصطلح الفاصلة القرآنيّة، فكانت كالفافية في الشّعْر، وقرينة السّجع في التثر، فيها من جمال التّظم ما يستهوي النّفوس، ويستعري الأسماع.

«والفواصل حروف متشاكلة في المقاطع، يقع بها إفهام المعاني»⁴⁰. وتقع الفاصلة القرآنيّة عند الاستراحة بالخطاب بغية تحسين الكلام بها، وهي الطريقة التي يباين الخطاب القرآنيّ بها سائر الكلام⁴¹، وتكمن الوظيفة التداوليّة لفواصل القرآن الكريم في أنّها طريق إبلاغيّ إلى إفهام المعاني الخفيّة والضمنيّة التي يُحتاج إليها في أحسن صورة يُدلّ بها عليها⁴².

والمتتبّع للنّظام الصّوتيّ في الخطاب القرآنيّ — وخاصّة الخطاب المكيّ منه-يلفه ينماز بحسن اتّساقه⁴³، وبديع اتّلافه «في حركاته وسكناته، ومدّاته وغمّاته، واتّصالاته وسكناته، اتّساقاً عجيباً اتّلافاً رائعاً، يستعري الأسماع، ويستهوي النّفوس بطريقة لا يمكن أن يصل إليها أيّ كلام من منظوم أو منثور»⁴⁴.

وما ورد من تنوّع في الفواصل القرآنيّة اقتضاه السياق التّخاطبيّ، واستدعاه التّغْم الموسيقيّ، ولم تقرضه طبيعة النّسق القرآنيّ فحسب؛ ذلك أنّ في السّورة الواحدة تعرض لك أكثر من فاصلة، ففي قوله تعالى: "أَلْهَكُمُ التَّكَاثُرُ" ^٥ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ^٥ [التكاثر: ١-٢] اقتضى سياق الآية

وأما ألف المدّ في الحرف (كَلَّا) أفي قوله -عزّ وجلّ-:
"كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ
الْيَقِينِ ﴿٧﴾" [التكاثر: ٣-٥] فيوحي بهول ما ينتظر اللاهين بعد
زيارة المقابر، وما يقتضيه من قرع للقلوب، وتنبيه للأسماع،
وردع للنفوس من خلال جرسه الرهيب الرصين المكرر
بألفاظه⁵⁹.

وأما صوت المدّ (الواو)، الناتج عن إشباع حركة
الضمة والمكرر ثلاث مرّات في (تَعْلَمُونَ)، فهو «حرف لين
جوفي»، ويكون للانفعال المؤثّر في الطّواهر⁶⁰، وقد صوّر
حال اللاهين المتكاثرين بمتاع الدّنيا، الغافلين المتفاهرين،
فهؤلاء كانوا في استمرار دائم في الانغماس في الملذّات،
والإلهاء بالتكاثر بالأموال والأولاد، وامتداد لهوهم ولعبهم في
الحياة الدّنيا، إلى أن يُلاقوا يومهم بعد طول الوعد وامتداده.
وهذه الملاقاة دائمة ومستمرّة في الجحيم، يُحاكيها صوت
(الواو) الممتدّ إلى الأمام.

وأما صوت المدّ (الياء)، فهو «حرف لين جوفي»
ويكون للانفعال المؤثّر في البواطن⁶¹، وله دور بارز لا يقلّ
عن دور مثليه (الألف والواو) في محاكاة المعنى، والمكرر في
هذه الكلمات الشريفة (اليقين) و(الجحيم) و(النّعيم)، وقد
تكرّر الإيقاع الناتج عن صوت المدّ (الياء) أربع مرّات، مرّتين
منها بألفاظه من خلال تكرار الكلمة الشريفة (اليقين)،
وحسب المرء ما يُوقعه هذا التكرار الصوتي ذو الإيقاع القويّ
الموحي بعظمة منشئه -جلّ جلاله- في روعه من دلالة الرّهبة.
ب- اقتضاء الأصوات المفردة المركّبة: يتوسّل هذا
العنصر إبراز بعض مظاهر اقتضاء الأصوات المفردة المركّبة في
(سورة التكاثر)، والتي تعدّ اقتضاءات للفونيمات فوق
التركيبية.

وينماز هذا الضرب من الاقتضاء بكونه «عناصر صوتية
وحدات وظيفية لا وجود لها ذاتياً، بل تظهر حين تُضمّ إلى
أخرى مع فونيم واحد أو مع عدّة فونيمات، لتحقيق دلالة
صوتية معيّنة في السلسلة الكلامية»⁶².

وللاقتضاءات الصوتية فوق التركيبية أثر فعال في
إبراز الخطاب القرآني، وتفسير دلالاته السياقية⁶³، وذلك من
خلال توليد مقتضيات صوتية تنتج عنها دلالات اقتضائية
مضمرّة نحو ما ينتج كلّ من التّبر والتّنفيم والوقف من معانٍ
مقتضاة. وسيكون التّركيز في هذا العنصر على اقتضاء

* -اقتضاء الأصوات الصائتة (الصوائت): يمثّل هذا

الضرب من الاقتضاء بما يُعرف بالمدّ أو ظاهرة المدود، وهي
ظاهرة صوتية موسيقية، تتمثّل في «إطالة الصوت وامتداده»،
تقتضيها الألف، والياء، والواو، وهذه الإطالة ذات قيمة في
العبارات القرآنية واقتضاءاتها الصوتية⁵¹، أين تقتصر وظائف
أصوات هذه المدود على الإيحاء بالاتّجاهات الثلاثة، الألف
الليّنة إلى الأعلى، والواو إلى الأمام، والياء إلى الأسفل^{52,53}.

وتشارك الأصوات الصائتة (الألف، والياء، والواو)

-إلى جانب الأصوات الصائتة في بناء فواصل (سورة التكاثر)
بناءً موسيقياً متميّزاً، لما تمتاز به من قوّة وضوحها السّمعّي،
وما تفيد من ترنم وتطريب للأذن، وتنشيط للعقل⁵⁴، إذ
«كثر في القرآن الكريم ختم كلمة المقطع من الفاصلة بحروف
المدّ واللين وإلحاق النون، وحكمته وجود التمكن من
التطريب بذلك»⁵⁵.

فإذا تأملت الخطاب المكيّ في (سورة التكاثر)

أفبته خطاباً واضحاً بصورة جليّة في اقتضاء ومحاكاة هذه
الصوائت للمعاني والأحداث الواردة في سياق الآيات، فأما في
قوله -جلّ وعلا-: "أَلْهَكُمُ التَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿٢﴾"
[التكاثر: ١-٢] "لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٣﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٤﴾"
[التكاثر: ٦-٧] فحرف الصائت (الألف) «يتّسم بما به
من الاستطالة والامتداد إلى الأعلى»⁵⁶ قد حاكي أكثر من
حدث، واقتضى أكثر من دلالة مضمرّة كشف عنها السّياق
القرآنيّ وأوردتها أسباب التّزول، منها دلالة طول اللّهُو
واستطالة أمده، والوقت الطّويل الذي يقضيه اللاّهون في
زيارة المقابر، فقد صوّر صوت المدّ (الألف) تلك الأحداث
والمعاني المتّسمة بطول زمن استغراق حدوثه، وفي ذلك
يقول صاحب التّحرير والتّنوير: «أي دام إلهاء التّكاثر إلى أن
زرتم المقابر؛ أي استمرّ بكم طول حياتكم»⁵⁷، وهذا ما
اقتضته هذه المقاطع الصوتية القويّة، المفتوحة: (ها: -haa-
(كا: -kaa-)تي: -taa-) (قا: -qaa-)، أين سمحت الفتحة
الطويلة، والتي تُعدّ من أكثر الأصوات اللّغويّة امتداداً في
التّطق للصوائت الثلاث (الهاء والكاف والقاف) بالانطلاق
مصورّة دلالة استغراق اللّاهي المتفاهر في ضحكته تصويراً
دقيقاً، وموحية بطول اللّهُو المستغرق عمر اللاهين كلّهُ،
ذلك أنّ انفتاح النّفس وامتداده مع المقاطع الصوتية الأربعة
السّابقة بفتحاتها الطويلة تجعل القارئ لها يستشعر أيّام هذا
العمر ممتدّة⁵⁸.

النفس عند انقطاع النفس، وكذا عند تمام الغرض من الكلام⁷⁰. وتكمن الوظيفة التواصلية المتوخاة من الوقف في العملية الاقتضائية التي يستعملها المتكلم بغية إفهام السامع المضمون الدلالي للكلام⁷¹.

وهناك مواضع محدّدة في الآيات القرآنية يقتضيها الوقف، منها الوقف على رؤوس الآيات، ذلك أنّ النظام التشكيلي الصوتي للفواصل القرآنية هو الذي يقتضي هذا الوقف إبرازاً لموسيقى الفواصل⁷² التي تخدم معاني مضمرّة وفق سياق تواصلية خاصّة؛ لأنّ فواصل

الخطاب القرآني -خاصّة الخطاب المكي- «مطلّقة وقف واستراحة»⁷³.

ومن أمثلة هذا الضرب من الوقف في (سورة التكاثر) تسكين فاصلة (حرف الرّاء) في نهاية كلّ من الآيتين الشريفتين: "أَلْهَنَكُمُ التَّكَاثُرُ ۝ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۝" [التكاثر: ١-٢] تكرار لصوتها، الصادر بتكرار ضربات اللسان على مؤخّر اللّثة تكراراً سريعاً⁷⁴، «ومن شأن هذا الملمح التّمييزي، الذي تتمتع به هاتان الرّاءان، إضافة إلى راء (زرتم) أن يوافق فكرة التكاثر والتّناسل، التي تحمل دلالة التتابع والاستمرار في هاتين الآيتين»⁷⁵، لذا اقتضى السياق تكرار هذا الصّامت تنابعا، فجاء صوت الرّاء الساكن والمكرّر اقتضاء لدلالة تنابع التكاثر والتّناسل واستمرارهما.

وبالوقف على رؤوس هذه الآيات الست: "كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ۝ ثُمَّ لَتَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ۝" [التكاثر: ٣-٨]، يسكن الحرف الأخير، ممّا يقتضي تكوين المقطع الصوتي الطويل المغلق في (مون) و(قين) و(حيم) و(عيم) ذي البروز الصوتي والوضوح السمعي العالي، وما يتّصف به من ثقل ملحوظ في التّطق، من شأنه أن يزيد بصفاته هاته شعور الخوف والرّهبة⁷⁶ وما يثيرانه في النفس من ثقل بهم الدّار الآخرة.

ج-الاقتضاء السياقي للأصوات في (سورة التكاثر):

يُعنى السياق الصوتي «بالتّحوّلات السياقية التي تطرأ على الصوت اللّغوي، فتفقده بعض خصائصه، أو تُكسبه خصائص أخرى، وقد ذهب بعض العلماء إلى أنّ هذه التّغيّرات تتمّ بمقتضى ما سمّوه قانون الصوت الأظهر، وهو الذي يكون فيه قدر من الخصائص التي تجعله أقوى من غيره من الأصوات»⁷⁷.

الأصوات المفردة المرغّبة للحرف الشّريف (كَلَّا) والاقتضاء الصوتي للوقف.

*- اقتضاء الصوت فوق التركيبي للحرف (كَلَّا):

تأمل أيّها المشرك اللّاهي، اللّاهث وراء شهواته هذه الآية الكريمة (كَلَّا سوف تعلمون) شملت ثلاث مقتضيات صوتية الفاصلة (النون) والتّكرار وتوظيف (كَلَّا)⁶⁴، هذا الحرف الذي يفيد الرّدع، وهو مولّد لغوي اقتضائي يقتضي مطلوبا مناسباً للرّد المؤثّر العنيف على نفوس المشركين المعاندين في مرحلة الدّعوة (الطّور المكي)، وقد كان فيهم جبابرة غلاظ الطّباع، وعناة أفضاظ لا تلين قلوبهم للكلمة العذبة الرقيقة، بل يناسبهم خطاب يحمل شحنات صوتية فيها شدّة وقوّة تؤزّمهم أزا، وفيها تخويف وتهديد يتوعّدهم توعّدا، ولا جرم أن يكون المقتضي الصوتي (كَلَّا) أنسب محدّد لدلالة الرّجز وغلظة الوعيد، والذي تُقال في مثل هذا المقام الشّديد، ومع هؤلاء الأشقياء الجبابرة، قساة القلوب⁶⁵.

وبعدّ الحرف (كَلَّا) آ في (سورة التكاثر) أساس

العملية التّخاطبية، فآله-جلّ وعلا- يخاطب حسّ السامع العربيّ الفصيح، ويقظة ذهنه، فيختزل الخطاب إلى أقصى حدود الاختزال، ويحرز السامع -والخطاب للمشركين- مراده منه، فيعيد بناء الكلام في ذهنه مستوعبا المعاني المضمرّة⁶⁶ بعد أن كفل له المولّد الاقتضائي (كَلَّا) آ الوصل بين بنية السابقة الشّريفة "أَلْهَنَكُمُ التَّكَاثُرُ ۝ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۝" [التكاثر: ١-٢] وبنية اللاحقة الشّريفة لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ۝ [التكاثر: ٦-٨]، ولما كان دورها الوظيفي الوصل، كانت العلاقة علاقة اقتضاء بين المردود عليه والمردود به.

*-اقتضاء الوقف: تعدّد ظاهرة الوقف في (سورة

التكاثر) من مقتضيات الفونيمات فوق التركيبية، «إذ كلّ توجيه للمعنى يقتضي ضربا من الوقف يناسبه»⁶⁷. والوقف هو قطع الصوت عن الكلمة زمنا، يتنفس فيه بنية استئناف القراءة، ويأتي في رؤوس الآي وأوساطها⁶⁸.

وللوقف في الخطاب القرآني دواعي وأسباب يجد

المتكلم نفسه إزاءها، أمام حاجة ملحّة لأن يقف ويسكت ويقطف كلامه زمنا⁶⁹، اقتضاء إمّا لاستئناف القراءة، أو تبيان الفروق بين المعاني المختلفة عن طريق التشكيل الصوتي لضبط العلاقة بين ظاهر اللفظ، ومضمون القصد، أو إراحة

اقتضت دلالة الضيق ما توحى به هذه الآيات الثلاث: "لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ" ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾ " [التكاثر: ٦- ٨] من ثقل في النطق اقتضاه القسم والغنة في البنيتين اللغويتين الشريفتين (لَتَرَوُنَّ) و (لَتُسْأَلُنَّ)، فكان التنغيم تنغيم قسم يوحى بوقوع العقاب، ويشعر بسلطة الله -عز وجل- القاهرة في الكون.

فحين يتأمل القارئ إصغاءً في البنيتين اللغويتين الشريفتين السابقتين، فإنه يقع على «تتابع انفجاري لصوت الغنة (ن)، وسبب الانفجارية هاته هو الـبـر الذي يقع في آخر المباني الإفرادية الثلاثية، وغاية البروز الصوتي الدلالي هنا، هو تأكيد وتشديد على الجزاء المنتظر، وهو أمر يُقرأ فيه إعجاز وإقناع ذهني، كما يُقرأ فيه دعوة إلى ترهيب نفسي لذات المتلقي»⁸⁴.

فيا أيها القارئ المتدبر للذكر الحكيم، إذا أخذت البعد التداولي لـ(سورة التكاثر) وأسباب نزولها لاحظت أنها ربطت السبب بالمسبب، فخاتمة السورة الكريمة ولاحقتها جاءت اقتضاء لصدارتها وسابقتها، حيث أن سبب ورود القسم برؤية الجحيم عياناً وبالسؤال عن النعيم اقتضته حياة الإنسان العابثة واللاهية.

خاتمة

جاءت (سورة التكاثر) المكينة رغم قصرها حافلة بدلالات صوتية اقتضاها السياق القرآني، لتشكّل وقعا خاصاً متجلياً بمفردات وتراكيب منتقاة، تكوّنت من صوامت وصوائت مختارة شكّلت نظاماً صوتياً فريداً في معانٍ مضمرة وظلال مكثفة، في النغم والإيقاع الموسيقي.

وجاءت لتختزل بتشكيلها الصوتي المتلائم رحلة الإنسان في هذه الحياة الفانية بين امتداد عبثه وانشغاله بالتكاثر والتفاخر وسفاسف الحياة الدنيا وبين حياة الجحيم التي يُحشر فيها، وسؤاله عن ذلك النعيم الذي شغله عن الدار الآخرة. وقد خلّص البحث إلى نتائج مفادها:

* تعدّ دلالة البنية الصوتية في (سورة التكاثر) ركناً رئيساً لا يمكن الاستغناء عنه بأية حال من الأحوال في بلوغ المعنى المقصود من المنطوق غير الصريح، والإحاطة به.

* إنّ التغيّيرات الصوتية تقتضي تغيّيرات في الدلالة، ولاختلاف الصوت قيمة تداولية تقتضي التمييز بين المنطوقات، فكلّ صوت في (سورة التكاثر) وُضع موضعه

يتوحى هذا العنصر النّظر في الاقتضاءات السياقية للأصوات الواردة في خطاب (سورة التكاثر) برمتها، نظرة كلية تتّصف بالشمولية، وذلك من خلال ربط المقتضيات الصوتية الواردة في بداية الآية بمولّداتها الاقتضائية، مروراً بلواحقها، ووصولاً إلى آخر آية في هذا الخطاب المكّي؛ حيث راعت هذه السّورة أن تبدأ بالصّامت الانفجاري (الهزمة)، والذي ينتجه أوّل مخارج الجهاز النطقي الحنجرية. وها هي السّورة تراعي أن تنتهي بصوت (الميم) هذا الصّامت الذي يُنتجه آخر مخارج هذا الجهاز النطقي: الشفتان.⁷⁸

يقول الباحث مهدي عناد قبها، وقد أبدع في شرح التشكيل الصوتي وتحليله لـ (سورة التكاثر) كما أبدع قبله سيّد قطب حين فسّرها في ظلاله (ظلال القرآن): «فقد فُصرت السّورة بين أوّل المخارج وآخرها، لتوحى، باعتقادي، أنّ هذا الكلام -جلّ شأنه- بدأ وأنهى؛ فلا نقاش فيه، ولا جدال، وكأنّها تُقرّئنا بذلك قوله تعالى "إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ" ﴿٧٩﴾»⁸⁰.

فمن عجيب اقتضاءات البنية الصوتية الواردة في (سورة التكاثر) ذلك التدرّج المخرجي للأصوات، أين «تبدأ الآية الأولى بصوت الهزمة الحنجري، تتلوها الثانية بصوت الحاء الحلقي، فالثالثة بصوت الكاف الطبقي، فالرابعة بصوت الناء الأسناني.

ويتكرّر الأمر نفسه في الآيات الأربع الأخيرة؛ فتبدأ الآية الخامسة بصوت الكاف الطبقي، تتلوها السادسة بصوت اللّام اللّثوي، فالسابعة والأخيرة بصوت الناء الأسناني»⁸¹، فتولّد عن هذا المقتضى الصوتي، المتمثّل في التدرّج المخرجي للأصوات تصاعداً نغمياً بديعاً، تزداد تردّداته تدريجياً وفق نسق طبيعيّ عذب⁸²، خدم دلالة التنبيه أولاً، ثمّ تدرّج النّغم صاعداً نحو دلالة الرّدع والوعيد، ليصل أخيراً نحو دلالة التأكيد على الزّجر والتّهديد بالقسم.

ففي انتقال الفم من اتّساعه المطّرد بنطق الفتحات المتتابعة في همزة (أهاكم) أ ونا (التكاثر) وحاء (حتى) أ وميم (المقابر) إلى ضيق النطق بالضمة في (تعلمون) أ أو الكسرة في (اليقين) أ و (النعيم) آفجأة، هذا الضيق المفاجئ الذي يصرّ في ظلّ الرّدع والزّجر، والتّهديد والوعيد انتقال اللاهي المتفاخر والمتكاثر بأمواله وأولاده فجأة من الحياة الدنيا الواسعة الممتدة امتداد الفتحة إلى ضيق في الآخرة⁸³ كضيق القبر وعذاب واقع. ولعلّ من المولّدات الصوتية التي

الذي لا يصلح غيره ليحل محله، -سواء أكان صامتا أم صائتا- ، وهذا ممكن الإعجاز الصوتي.

* أصوات (سورة التكاثر) التي تشكلت منها كلماتها قد اختيرت بعناية إلهية فائقة، لتتوافق والجو العام للسورة، أو الجو الخاص الذي أريد للآية الشريفة أن تضع فيه المتلقي، جامعة بين جلال المعنى وجمال المبنى الصوتي تحقيقا لعملية الإبلاغ والتأثير.

* اتسم التشكيل الصوتي لـ (سورة التكاثر) بوقع سمعي خاص، اقتضته الأصوات المفردة من صوامت وصوائت، وتأثير نفسي للأصوات المركبة على نفوس اللاهثين خلف الأموال والأولاد، ومدلول انفعالي جسده مقام التهديد والوعيد والزجر، حيث:

- صُدّرت (سورة التكاثر) بالصامت (الهزمة) اقتضاءً لدلالة تنبيه ذهن المخاطبين، وتهيئة نفوسهم لسماع خطاب الله -عز وجل- لهم، ثم تدبر معاني هذا الخطاب الجلل.

- ثم أردفت بالصامت المكّرر (الراء)، المقتضي مقام الإنسان المتكاثر والمتفاخر، وفي تكرير صوت الراء دلالة على استمرار هذا التكاثر.

- وأخيرا ختمت بالصامتين (النون والميم) لما لهما من غنة ظاهرة، وتأثير صوتي بارز على الجو العام للسورة.

* ساعدت الأصوات الصائتة (الألف، والياء، والواو) - إلى جانب الأصوات الصامتة- في بناء فواصل (سورة التكاثر)، وكان لكل صائت من الصوائت الثلاثة دلالة ظاهرة، ووقع خاص به انطلاقا من رتبته وموقعه.

* تنوعت فواصل (سورة التكاثر) اقتضاءً للسياق القرآني، وخدمة للنغم الموسيقي، ولا يتحقق الاقتضاء الصوتي للفواصل إلا حال الوقوف عليها بالسكون تحقيقا لجمالها الصوتي، وخدمة للمعنى المضمر الذي تريد الآية تبليغه.

* اقتضى سياق الرد المؤثر العنيف على المشركين اللاهثين بتكاثرهم وأموالهم المولّد الاقتضائي الصوتي (كلًا) الخادم لدلالة الردع والتنبيه في الآية الأولى، ثم دلالة الوعد والوعيد وزيادة في الزجر في الآية الثانية، وتأتي الآية الأخيرة توكيدا للدالتين السابقتين.

* جاءت المقاطع الصوتية قصيرة؛ لكن كل مقطع يوحي بدلالات اقتضائية ومعان مضمرة غاية في الروعة والدقة، تبين قوة الخطاب وشدته، هذا الخطاب الذي يهز هزًا أعماق اللاهثين وراء الأموال والأولاد متناسين الحياة الآخرة، أو غافلين عنها.

الهوامش

1. ينظر: إبراهيم صبر الرازي: البناء الصوتي في السور المكية، دار الحصاد، دمشق، سورية، ط 1، 2014م، ص 18.
2. ينظر: ريم الهمامي: الاقتضاء وانسجام الخطاب، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط 1، 2013م، ص 7 (من تقديم عبد الله صولة).
3. المرجع نفسه، ص 29.
4. ينظر: ابن منظور: لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1968م، مادة (ق، ض، ي)، ج 15، ص 186/187.
5. ينظر: الزأغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق وتعليق: مصطفى بن العدوي، مكتبة فائض للتجارة والتوزيع، المنصورة، ط 1، 2009م، (كتاب القاف)، ص 516.
6. فخر الدين قباوة: مشكلة العامل التحوي ونظرية الاقتضاء، المطبعة العلمية، دار الفكر، دمشق، ط 1، 2003م، ص 121.
7. ينظر: المرجع نفسه، ص 125.
8. ينظر: بنعيسى عسو أزيبط: الخطاب اللساني العربي- هندسة التواصل الإضماري (من التجريد إلى التوليد)، ج 2 (مستويات البنية الإضمارية وإشكالاتها الأساسية)، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط 1، 2012م، ص 51.
9. فتحي الدرديني: المناهج الأصولية في الاجتهاد بالرأي في التشريع الإسلامي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط 3، 2013م، ص 275.
10. عبد الجليل الغندوري: دلالات المنطوق غير الصريح وقواعده التفسيرية، 14 يناير 2014م، نقلا عن الموقع الإلكتروني: <https://www.facebook.com/abdeljalil.elghandoury/posts/>
11. أبو حامد الغزالي: المستصفى من علم الأصول، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، دط، ج 2، ص 187.
12. ينظر: البخاري: كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 2، 1994م، ص 191-192.
13. ينظر: عبد العزيز العيادي: مناهج الاجتهاد المقاصدي، معالم وضوابط، منشورات مكتبة آقرأ، قسنطينة، الجزائر، ط 1، 2009م، ص 207.
14. ينظر: الشاطبي: الموافقات في أصول الشريعة، شرح وتخرير الأحاديث: عبد الله دراز، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، ج 3، ص 258/261، وينظر: عبد العزيز العيادي: مناهج الاجتهاد المقاصدي، ص 208.
15. ينظر: فرانك نوفو: قاموس علوم اللغة، ترجمة: صالح الهاجري، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط 1، 2012م، ص 77.
16. ينظر: ريم الهمامي: الاقتضاء وانسجام الخطاب، ص 9/8 (من تقديم عبد الله صولة).
17. ينظر: المرجع نفسه، ص 9 (من تقديم عبد الله صولة).
18. عبد السلام إسماعيلي علوي: ما التداوليات، ص 21، مقال منشور في كتاب جماعي: (التداوليات علم استعمال اللغة)، إعداد وتقديم: حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب العربية، إربد، الأردن، ط 1، 2011م.
19. ينظر: بنعيسى عسو أزيبط: الخطاب اللساني العربي- (مستويات البنية الإضمارية وإشكالاتها الأساسية)، ج 2، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط 1، 2012م، ص 51.
20. ينظر: نجيب علي عبد الله السوداني: الدلالة الإيحائية لصفة الصوت في النص القرآني، جامعة تعز، اليمن، 2013م، نقلا عن الموقع الإلكتروني: <https://ust.edu/ojs/index.php/JSS/article/view/314>
21. تيمام حسان: البيان في روائع القرآن، عالم الكتب، القاهرة، ط 1، 1993م، ص 43.
22. ينظر: نجيب علي عبد الله السوداني: الدلالة الإيحائية لصفة الصوت في النص القرآني.
23. ينظر: محمد عبدالله دراز: النبا العظيم، نظرات جديدة في القرآن، دار القلم، الكويت، ط 1، د ت، ص 56.
24. سيد قطب: التصوير الفني في القرآن، دار المعارف، القاهرة، ط 2، 1949م، ص 25.
25. الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، مطبعة الخانجي، ط 7، 1998م، ج 1، ص 79.
26. محمد حسين علي الصغير: الصوت اللغوي في القرآن، دار المؤرخ العربي، بيروت، لبنان، ط 1، 2000م، ص 44.
27. ينظر: فخر الدين قباوة: مشكلة العامل التحوي ونظرية الاقتضاء، ص 24، وينظر: أشواق محمد إسماعيل النجار: الاقتضاء: دلالاته وتطبيقاته في أسلوب القرآن الكريم، دار دجلة، عمان، الأردن، ط 1، 2008م، ص 61.
28. ينظر: سيد علي مير لوي وماجد النجار: الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم (نظرة في كتب الباحثين العرب القدامى والمعاصرين)، مجلة أهل البيت - عليهم السلام، العدد 09، ص 32، نقلا عن الموقع الإلكتروني: <file:///C:/Users/hp/Desktop>
29. بدأ سيد قطب تفسير هذه السورة مشيراً إلى تشكيلها الصوتي، وما يوحي به من دلالات إبلاغية بقوله: «هذه السورة ذات إيقاع جليل رهيب عميق، وكأنها صوت نذير قائم على شرف عالٍ، يمدّ صوته، ويدوي بنبرته، صائحا بنوم غافلين مخمورين سادرين، أشرفوا على الهاوية، وعقولهم مغبضة، وحسهم مسحور، فهو يمدّ صوته إلى أبعد ما يبلغ....»، لمزيد من التفصيل ينظر: سيد قطب: في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، 1996م، ط 25، مج 6، ص 3962.
30. ينظر: إبراهيم صبر الرازي: البناء الصوتي في السور المكية، ص 7-8 (من المقدمة).
31. ينظر: حسن ظاظا: كلام العرب (من قضايا اللغة العربية)، كتاب صوتي بقراءة: محمد أبو حسين الفتوح، المكتبة المركزية للكتب الناطقة، شبكة أنوار البصيرة، 9 ماي 2015م، نقلا عن الموقع الإلكتروني: https://archive.org/details/khaled_alridwany_9_201505/1.mp3
32. ابن جني: الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 1، 1999م، ج 1، ص 33.
33. مكّي بن أبي طالب القيسي: الرعاية، تحقيق: أحمد حسن فرحات، دار الكتب العربية، القاهرة، دط، د ت، ص 117.

34. ينظر: محمد مبارك: استقبال التص عند العرب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 1، 1996م، ص 99، وأشواق محمد إسماعيل النجار: الاقتضاء: دلالاته وتطبيقاته في أسلوب القرآن الكريم، ص 67، 68.
35. ينظر: كمال بشر: علم اللغة العام-الأصوات، دار المعارف، القاهرة، مصر، دط، 1975م، ص 54.
36. حسن عباس: خصائص الحروف العربية ومعانيها-دراسة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دط، 1998م، ص 95.
37. - ينظر: مهدي عناد قهبا: التحليل الصوتي للتص، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1، 2013م، ص 87.
- صوت الراء من الأصوات التي ترتبط بعيوب النطق الاضطرابية، من ثأثة وتمتمة؛ فأما الاولى، فهي تكرار الراء عند الكلام، وأما الأخرى، فهي رد الكلام إلى الراء والميم. ينظر: فخري محمد صالح: اللغة العربية أداء ونطقا إملاء وكتابة، دار الوفاء، ط 2، دت، ص 97، و مهدي عناد قهبا: التحليل الصوتي للتص، ص 90.
38. محمد حسين علي الصغير: الصوت اللغوي في القرآن، ص 94.
39. الباقلاني: إعجاز القرآن، تحقيق: السيد صقر، دار المعارف، القاهرة، ط 5، 1997م، ص 270.
40. ينظر: الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، دط، دت، ص 54.
41. ينظر: رشاد محمد سالم: مع القرآن الكريم في إعجازه اللغوي- لطائف وأسرار، دار البشير، الإمارات، دار عباد الرحمن للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 4، 2017م، ص 135.
42. ينظر: إبراهيم صبر الراضي: البناء الصوتي في السور المكية، دار الحصاد، دمشق، سورية، ط 1، 2014م، ص 190.
43. محمد عبد العظيم الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق: أحمد بن علي، دار الحديث، القاهرة، دط، 2001م، ج 2، ص 259.
44. محمد حسين علي الصغير: الصوت اللغوي في القرآن، ص 87.
45. أي أنكم تكاثرتُم بالأحياء حتى استوعبتُم عددهم، صرتم إلى المقابر فتكاثرتُم بالأموات، فعبرَ -عزَّ وجلَّ- عن بلوغكم ذكر الموتى بزيارة المقابر، تهكمًا بكم. ينظر: أبو حيان الأندلسي: تفسير البحر المحيط، تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1993م، ج 8، ص 505.
46. الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، دط، 1984م، ج 30، ص 521.
47. ينظر: مهدي عناد قهبا: التحليل الصوتي للتص، ص 100.
48. الفحة صوت أغنَّ مرگ في جسم النون والميم؛ أي محلَّها النون والميم المشدَّتان، أو المدغمتان بفحة، أو المخفَّتان، والفحة صفة قائمة بذات الحرفين، ينظر: صبري المتولي: دراسات في علم الأصوات - الأصول النظرية والدراسات التطبيقية لعلم التجويد القرآني، زهراء الشرق، القاهرة، مصر، ط 1، 2006م، ص 40/39.
49. ينظر: إبراهيم صبر الراضي: البناء الصوتي في السور المكية، ص 193.
50. أشواق محمد إسماعيل: الاقتضاء: دلالاته وتطبيقاته في أسلوب القرآن الكريم، ص 109.
- المعروف صوتيًا، وانطلاقاً من حركة اللسان، أن اتجاهات هذه المدود الثلاثة تكون: الألف اللينة إلى الأمام، والواو إلى الأعلى، والياء إلى الأسفل، فلكي يتم نطق الصوت المتحرك (الضمة) - مثلاً- تتدور الشفتان ويرتفع اللسان نحو الأعلى، ولنطق صوت (الفتحة) المتحرك تكون الشفتان مفتوحتان، ويدفع اللسان نحو الأمام.
51. ينظر: الفارابي: الموسيقى الكبير، تح: غطاس عبد الملك خشبة ومحمود احمد الحنفي، دار الكاتب العربي، القاهرة، دط، 1967م، ص 1073، وحسن عباس: خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص 98، وإبراهيم صبر الراضي: البناء الصوتي في السور المكية، ص 154- 156.
52. ينظر: إبراهيم صبر الراضي: البناء الصوتي في السور المكية، ص 201.
53. الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج 1، ص 68.
54. إبراهيم صبر الراضي: البناء الصوتي في السور المكية، ص 154.
55. الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج 30، ص 520.
56. ينظر: مهدي عناد قهبا: التحليل الصوتي للتص، ص 98/88.
57. ينظر: سيد قطب: في ظلال القرآن، مج 6، ص 3962، ومهدي عناد قهبا: التحليل الصوتي للتص، ص 93.
58. حسن عباس: خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص 97.
59. المرجع نفسه، ص 99.
60. - أشواق محمد إسماعيل النجار: الاقتضاء: دلالاته وتطبيقاته في أسلوب القرآن الكريم، ص 134.
61. ينظر: المرجع نفسه: ص ن.
- « (كلّا) حرف ردع وإبطال لشيء يسبقه غالباً في الكلام يقتضي ردع المنسوب إليه وإبطال ما نسب إليه». الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج 30، ص 11.
62. ينظر: أمير عبد العزيز: دراسات في علوم القرآن، دار الشهاب للطباعة والنشر، باتنة، الجزائر، ط 2، 1988م، ص 59-60.
63. ينظر: عبد الفتاح الفرجاوي: ظاهرة الإعادة والرد بين الدلالة والإحالة ("كلّا" و"بلى" في القرآن)، ص 542، مقال منشور في كتاب جماعي: (التداوليات علم استعمال اللغة)، إعداد وتقديم: حافظ إسماعيلي علوي.
64. فخر الدين قباوة: مشكلة العامل التحوي ونظرية الاقتضاء، ص 183.
65. ينظر: الجزري: النشر في القراءات العشر، تحقيق: علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، دت، ص 240.
66. ينظر: محمد خليل مراد الحربي: الوقف في العربية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 2006م، ص 17.
67. ينظر: المرجع السابق، ص 18.

68. ينظر: أشواق محمّد إسماعيل النجّار: الاقتضاء: دلالاته وتطبيقاته في أسلوب القرآن الكريم ، ص156.
69. ينظر: المرجع نفسه ، ص157.
70. محمّد خليل مراد الحربي: الوقف في العربية، ص140.
71. ينظر: كمال بشر: علم الأصوات ، ص345، وينظر: مهدي عناد قبها: التحليل الصوتي للنصّ ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، الأردن ، عمان ، ط1 ، 2013م ، ص91.
72. مهدي عناد قبها: التحليل الصوتي للنصّ ، ص91.
73. ينظر: المرجع نفسه ، ص95.
74. سمير شريف استيتية: اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج ، علم الكتب الحديث ، إربد ، الأردن ، ط2 ، 2008م ، ص62-62.
75. ينظر: مهدي عناد قبها: التحليل الصوتي للنصّ ، ص102.
76. سورة الطارق ، الآية: 13.
77. مهدي عناد قبها: التحليل الصوتي للنصّ ، ص102.
78. المرجع نفسه ، ص105.
79. ينظر: المرجع نفسه ، ص ن ، وينظر: أحمد شفيق الخطيب ، ويوسف سليمان خير الله: الموسوعة العلمية الشاملة ، مكتبة لبنان ناشرون ، ط1 ، بيروت ، 1998م ، ص187.
80. ينظر: مهدي عناد قبها: التحليل الصوتي للنصّ ، ص96.
81. مفلح بن عبد الله: آليات الحجاج في الخطاب القرآني-الاستفهام أمودجا ، المركز الجامعي غليزان ، الجزائر ، الأحد 14 أبريل 2013م ، 07:32 ، ص3 ، نقلا عن الموقع الإلكتروني:
- <https://www.ahlalheeth.com/vb/attachment.php?attachmentid...>

قائمة المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم
2. المصادر والمراجع
3. إبراهيم صبر الرازي: البناء الصوتي في السور المكية، دار الحصاد، دمشق، سورية، ط1، 2014م.
4. أحمد شفيق الخطيب، ويوسف سليمان خير الله: الموسوعة العلمية الشاملة. مكتبة لبنان ناشرون، ط1، بيروت، 1998م.
5. أشواق محمد إسماعيل النجار: الاقتضاء: دلالاته وتطبيقاته في أسلوب القرآن الكريم، دار دجلة، عمان، الأردن، ط1، 2008م.
6. أمير عبد العزيز: دراسات في علوم القرآن، دار الشهاب للطباعة والنشر، باتنة، الجزائر، ط2، 1988م.
7. (الباقلائي) أبو بكر محمد بن الطيب: إعجاز القرآن، تحقيق: السيد صقر، دار المعارف، القاهرة، ط5، 1997م.
8. (البخاري) علاء الدين عبد العزيز بن أحمد: كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1994م.
9. بنعيسى عسو أزيبط: الخطاب اللساني العربي- هندسة التواصل الإضماري (من التجريد إلى التوليد)، (مستويات البنية الإضمارية وإشكالاتها الأساسية)، ج2، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2012م، ص51.
10. تيم حسان: البيان في روائع القرآن، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1993م.
11. (الجاحظ) أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب: البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، مطبعة الخانجي، ط7، 1998م.
12. (الجزري) محمد بن محمد بن علي بن يوسف: التشر في القراءات العشر، تحقيق: علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2009م.
13. (ابن جني) أبو الفتح عثمان: الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 1999م.
14. حسن ظاظا: كلام العرب (من قضايا اللغة العربية)، كتاب صوتي بقراءة: محمد أبو حسين الفتوح، المكتبة المركزية للكتب الناطقة، شبكة أنوار البصرة، 9ماي 2015م، نقلا عن الموقع الإلكتروني3https://archive.org/details/khaled_alridwany_9_201505/1.mp3 :
15. حسن عباس: خصائص الحروف العربية ومعانيها-دراسة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ط1، 1998م.
16. (الراغب الأصفهاني) أبو القاسم الحسين بن محمد: مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق وتعليق: مصطفى بن العدوي، مكتبة فياض للتجارة والتوزيع، المنصورة، ط1، 2009م.
17. رشاد محمد سالم: مع القرآن الكريم في إعجازه اللغوي-لطائف وأسرار، دار البشير، الإمارات، دار عباد الرحمن للنشر والتوزيع، القاهرة، ط4، 2017م.
18. ريم الهامي: الاقتضاء وانسجام الخطاب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2013م.
19. (الزرقاني) محمد عبد العظيم: مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق: أحمد بن علي، دار الحديث، القاهرة، ط1، 2001م.
20. (الزركشي) بدر الدين محمد بن عبد الله: البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، ط1، 2006م.
21. سيد قطب:
22. التصوير الفني في القرآن، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1949م.
23. في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط25، 1996م.
24. (الشاطبي) أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللّخمي: الموافقات في أصول الشريعة، شرح وتخرّيج الأحاديث: عبد الله دراز، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2006م.
25. صبري المتولي: دراسات في علم الأصوات - الأصول النظرية والدراسات التطبيقية لعلم التجويد القرآني، زهراء الشرق، القاهرة، مصر، ط1، 2006م.
26. الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، ط1، 1984م.
27. عبد السلام إسماعيلي علوي: ما التداوليات، مقال منشور في كتاب جماعي: التداوليات علم استعمال اللغة، إعداد وتقديم: حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب العربية، إربد، الأردن، ط1، 2011م.
28. عبد العزيز العيادي: مناهج الاجتهاد المقاصدي، معالم وضوابط، منشورات مكتبة اقرأ، قسنطينة، الجزائر، ط1، 2009م.
29. عبد الفتاح الفرجاوي: ظاهرة الإعادة والردّة بين الدلالة والإحالة ("كلا" و"بلى" في القرآن)، ص542، مقال منشور في كتاب جماعي: التداوليات علم استعمال اللغة، إعداد وتقديم: حافظ إسماعيلي علوي.
30. (الغزالي) محمد أبو حامد: المستصفى من علم الأصول، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط1، 2009م.
31. (الفارابي) أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان: الموسيقى الكبير، تح: غطاس عبد الملك خشبة ومحمود احمد الحنفي، دار الكاتب العربي، القاهرة، ط1، 1967م، ص1073.
32. فتحي الدرديني: المناهج الأصولية في الاجتهاد بالرأي في التشريع الإسلامي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط3، 2013م، ص275.
33. فخر الدين قباوة: مشكلة العامل التحوي ونظرية الاقتضاء، المطبعة العلمية، دار الفكر، دمشق، ط1، 2003م.
34. فخري محمد صالح: اللغة العربية أداء ونطقاً إملاء وكتابة، دار الوفاء، ط2، 2009م.
35. فرانك نوفو: قاموس علوم اللغة، ترجمة: صالح الهاجري، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2012م.
36. كمال بشر: علم اللغة العام-الأصوات-، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط1، 1975م.
37. مجدي إبراهيم محمد: في أصوات العربية-دراسة تطبيقية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2011م.
38. محمد حسين علي الصغير: الصوت اللغوي في القرآن، دار المؤرخ العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2000م.
39. محمد خليل مراد الحربي: الوقف في العربية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2006م.
40. محمد عبد الله دراز: النبأ العظيم، نظرات جديدة في القرآن، ط1، دار القلم، الكويت، د.ت.

41. محمد مبارك: استقبال النص عند العرب ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط 1 ، 1996م .
42. مكي بن أبي طالب القيسي: الرعاية ، تحقيق: أحمد حسن فرحات ، دار الكتب العربية ، القاهرة ، دط ، دت .
43. (ابن منظور) محمد جمال الدين أبو الفضل محمد مكرم: لسان العرب ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، 1968م .
44. مهدي عناد قبها: التحليل الصوتي للنص ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ط 1 ، 2013م .
45. مقالات على مواقع شبكة الأنترنت:
46. سيد علي مير لوي وماجد النجار: الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم (نظرة في كتب الباحثين العرب القدامى والمعاصرين) ، مجلة أهل البيت - عليهم السلام - ، العدد 09 ، ص 32 ، نقلا عن الموقع الإلكتروني: <file:///C:/Users/hp/Desktop>
47. عبد الجليل الغندوري: دلالات المنطوق غير الصريح وقواعده التفسيرية ، 14 يناير 2014م ، نقلا عن الموقع الإلكتروني : <https://www.facebook.com/abdeljalil.elghandoury/posts/>
48. مفلح بن عبد الله: آليات الحجاج في الخطاب القرآني- الاستفهام أمودجا ، المركز الجامعي غليزان ، الجزائر ، الأحد 14 أبريل 2013م ، 07:32 ، ص 03 ، نقلا عن الموقع الإلكتروني: <https://www.ahlalheeth.com/vb/attachment.php?attachmentid>
49. نجيب علي عبد الله السوداني: الدلالة الإيحائية لصفة الصوت في النص القرآني ، جامعة تعز ، اليمن ، 2013م ، نقلا عن الموقع الإلكتروني: <https://ust.edu/ojs/index.php/JSS/article/view/314>